كلية دار العلوم
قسم الدراسات الأدبية

القصيدة السياسية في شعر محمد محمود الزُّبَيْرِي

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأدبية

إعداد

فارس توفيق محمد البِيل

إشراف

أ.د/ محمد موسى خشبة

القاهرة ٢٠٠٩م

الإهـــــداء

إلى المثل السائر ، والحلم الذي رحل سريعاً

عمي صالح

جزءاً من وفـــاء .

وإلى زهـرة حياتي زوجتي سماح

وورديتنا جمان و رزان

حبـاً ومـودة.

المقـدمـة

لم ينل شعر اليمن وشعراؤه قديماً وحديثاً من الرواج والاهتمام الكثير، على الرغم من كثرته وجودته، وظل غائباً عن المشهد العربي إلا من قليل ظهور، ساعدت عليه ظروف قد لا تكون مقصودة في أفضل حالاتها، وبعضها جرأة واقتحام من خارج اليمن. وذلك عائد لجملة من الاعتبارات قد يكون منها الجغرافيا والعادات، كما يتحمل أدباء اليمن وكتابها جزءاً من ذلك ؛ جراء انطوائهم حول ذواتهم حتى في محيطهم اليمني، فثارت تساؤلات عديدة عن شعر اليمن، واستفهم كثير عن شعرائه. من هنا بدت أهمية تسليط الضوء على الأدب في اليمن، والشعر بخاصة وتقديمه بأسلوب منهجي لأبناء اليمن والآخرين، فبذلت في ذلك جهود كثيرة خصوصاً من الجيل السابق وجيل اليوم، وإن كانت هذه الجهود ما تزال دون المرجو في الكشف عن واقع الأدب في اليمن والتعريف به .

ولما كان للشعر من حضور مهم، ودور فعال في مراحل مختلفة من العصر الحديث في اليمن، حيث واكب إيقاع الحياة فيها، واقترب من تلمس همومها، وتفاعل مع أحداثها المختلفة ، مما احتيج إلى سبر أغواره ، والتوقف عند دلائله ومغازيه، لبيان قيمته وفاعليته .

من ذلك كان الشعر السياسي المعاصر في اليمن أحد أهم الأنواع تقبلاً وتداولاً وانتشاراً، بل تأثيراً وقدرة، كما في عهد المملكة المتوكلية ؛ لخوضه في مسائل حساسة ومشتركة ، وتناوله واقع الناس وظروف البلاد، ما ينأى بعض عن الحديث العام فيه ولو بالهمس، في وقت كانت الإمامة في اليمن تكمل ألف عام من حكمها له ، بما لها وما عليها، حتى كانت في مرحلتها الأخيرة قد مكّنت للخرافة في أذهان الناس كإحدى وسائل الحكم ، وأدارت ظهرها لحركة التطور والنهوض من حولها .

وكان الشاعر محمد محمود الزُّبَيرِي رائد هذا الفن في تلك المرحلة ، والمتصدي لتلك الألفية بشعره لتقويضها كما أراد، وتمزيق النُسج من عليها ، فكان شعره ملهم نضال، وصدى آلام ومنشور ثورة .

أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة ، من كونها محاولة في التنقيب عن الشعر السياسي في اليمن والكشف عنه وأدواره ، و تناوله بطريقة علمية ، لحضوره الواضح

في وجدانات الناس ، وغيابه البين في الدرس النقدي والأدبي. وكان شعر الزبيري ـ وقد طغت عليه السياسة ـ الأكثر حضوراً وفاعلية في مجاله ، من بداية الأربعينيات من القرن المنصرم وحتى الثورة اليمنية سنة ١٩٦٢م ، وإن تعرضت له الكثير من الكتابات والأبحاث؛ فإنها تكاد تبتعد عن المنهجية ولا تخلو من التسجيل العاطفي، وتوارد الخواطر، والتناول السطحي، شابها التضخيم المبالغ للشاعر في جانب، أو التشكيك بأدواره وشعره في جانب آخر، باستثناء دراسات جادة، أفردته بذلك ، وحاولت رصد شعره بعامة ، والوقوف عند مراحل حياته بالتوازي مع شعره ، أهمها ـ بحسب تسلسلها الزمني ـ :

١ـ الزبيري شاعر اليمن : لعبد الستار الحلوجي. صدرت عن مطبعة الكيلاني في القاهرة ، سنة ١٩٦٨م.
٢ـ الزبيري شاعر الوطنية : لعمر الجاوي . صدرت في عدن، سنة ١٩٧٢م.
٣ـ الزبيري أديب اليمن الثائر : للدكتورعبد الرحمن محمد العمراني ، وهي دراسة أكاديمية تؤرخ لحياته بتفصيلاتها المختلفة وأدبه. صدرت طبعتها الأولى عن مركز الدراسات والبحوث اليمني ، سنة ١٩٧٩م .
٤ـ الزبيري ضميراليمن الثقافي والوطني : للدكتور عبد العزيز المقالح. أصلها مجموعة مقالات مختلفة عن الزبيري وشعره . صدرت عن دار العودة ، بيروت، سنة ١٩٨٣م .
٥ـ المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيري : لعبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي . تناولت مراحل حياته المختلفة و نضاله الأدبي والعملي. صدرت طبعتها الأولى عن دار البشير، صنعاء، منتصف الثمانينيات.
٦ـ الزبيري شاعراً ومناضلاً : لمجموعة من الكتاب اليمنيين . وهي مقالات وكتابات متنوعة عن الزبيري وحياته وفكره وأدبه . صدرت عن دار العودة ، بيروت ، سنة ١٩٨٦م.
٧ـ شعرالزبيري بين النقد الأدبي و أوهام التكريم: للدكتور رياض القرشي، وهي دراسة نقدية مختصرة لشعر الزبيري وحركة النقد حوله. صدرت طبعتها الأولى عن دار الطباعة الحديثة، القاهرة ، سنة١٩٩٠م.
٨ـ من أول قصيدة وإلى آخر طلقة، دراسة في شعر الزبيري: لعبد الله البردوني . صدرت طبعتها الأولى عن دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، سنة ١٩٩٣م.

ومن الرسائل العلمية المخطوطة:

١ـ شعر محمد محمود الزبيري دراسة نقدية : أمين محمد محمد أبوبكر . رسالة ما جستير ، قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٣م .
٢ـ البناء الفني في شعر محمد محمود الزبيري : عدنان يوسف الشعيبي . رسالة ماجستير، قسم الدراسات الأدبية واللغوية، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

وبرغم أهمية تلك الدراسات جميعها وغيرها، ومرور زمن طويل على وفاة الزبيري سنة ١٩٦٥م ، فإنها اهتمت بشعر الزبيري ونثره بعامة ومواقفه المتعددة ، من منطلقات مختلفة، ولم يفرد الشعر السياسي أو القصيدة السياسية للزبيري ـ تقريباً ـ بدراسة موضوعية ومنهجية مستقلة ، وهو ما سعت إليه هذه الدراسة باعتبار أن الجانب السياسي في شعر الزبيري وهو الغالب؛ هو صورة واضحة لحياته ونضاله، كما يعد وثيقة تؤرخ لنضال الأحرار اليمنيين وحركاتهم المختلفة، وكفاحهم الطويل، وهو سجل حافل بوسائل حكم الإمامة وطرائقه، ظلت ترددده الألسن، وما تزال، كمعبر عن حال الناس وتطلعاتهم، وبذلك فهو صفحات مهمة من تاريخ اليمن المعاصر في حقبة من حقبه الأكثر عتمة وعزلة ، تقدم للأجيال المتلاحقة كحق من حقوقها بغرض المعرفة والدراية . كما تسعى هذه الدراسة للمساهمة في فتح الباب لدراسة الشعر السياسي اليمني وهو كثير ومتعدد.

خطة الدراسة ومنهجيتها:

تقوم الدراسة على جانبين؛ موضوعي: به تحليل قصائد الشاعر السياسية والوقوف على مقاصدها والكشف عن دلالاتها اعتماداً على واقعها وأحداثه المختلفة التي تفاعلت معها، ومناسباتها ومدى فاعليتها في ذلك . وفني: تعامل معها من حيث الشكل والأسلوب وإمكاناتها الفنية، ومقدرة كل ذلك في التأثير وتحقيق أغراضها ومرادها.
وبذلك انتظمت الدراسة في مقدمة، وتمهيد ، وثلاثة أبواب تشمل سبعة فصول، وخاتمة، على النحو التالي:

التمهيد: وفيه عرض للحياة السياسية لليمن في الفترة التي عاشها الزبيري وتفاعل معها شعره ، كمفتتح للدراسة يضيء مراحلها اللاحقة، ويضع القارئ في صورة الواقع والبيئة التي نما فيها شعر الزبيري وتجربته .

البـاب الأول: حياة الشاعر، وقد انتظم في فصلين ؛ الأول " الزبيري الإنسان " ، وفيه أولاً عرض لحياة الشاعر العامة بدءاً من النشأة والدراسة مروراً بهجرته الأولى والثانية وانتهاءً بعودته للوطن عقب الثورة والوفاة. وفيه ثانياً فكر الشاعر وفلسفته فيما له علاقة بمضمونه الشعري، وفي ختامه رصد لإنتاج الشاعر النثري في الأدب والفكر والسياسة .
والفصل الثاني وعنوانه " الزبيري الشاعر" وبه تقسيم لمراحله الشعرية، إلى ثلاث مراحل بعد تدقيق وتتبع لشعره وتطوراته وانتقالاته المختلفة والمؤثرات فيه ، من البداية مروراً بالطفولة الأدبية وانتهاء باليقين الثوري، و فيه ثانياً مفهوم الشعر عند الزبيري ورؤيته لطبيعة الشعر ، و ثالثاً وظيفة الشعر عنده، وأدواره التي أرادها له . وخُتم الفصل بعرض لإنتاجه الشعري .

البـاب الثـاني: الرؤية في القصيدة السياسية، وفي فصله الأول توطئة لمفهوم القصيدة السياسية عامة ،وعلاقة الشعر بالسياسة، وفيه ثانياً سمات الرؤية في القصيدة، وقد حُددت حسب تطورها وخصائصها؛ بسمتين هما المهادنة و التمرد وما شملته السمة الثانية من مواجهة للحكام واستنهاض وحشد للشعب.
الفصل الثاني، مجالات الرؤية التي خاضت فيها قصيدة الشاعر السياسية بدءاً بالمجال الوطني وهو على شقين رؤيتها للحاكم واقعياً بأفعاله القائمة، ورؤيتها الافتراضية لما ينبغي أن يكون عليه ويقوم به، ورؤيتها للمحكوم وتصوير واقعه وأوضاعه، ورؤيتها لما يستوجب عليه من أدوار. وثانياً المجال القومي وتحليل رؤية القصيدة لهموم الأمة العربية ووحدتها، ورصد مواقف القصيدة ورؤاها في عدد من قضايا وأحداث الدول العربية في ذلك الوقت. وثالثاً المجال الإسلامي بدءاً بتتبع رؤى القصيدة ومواقفها تجاه الأمة الإسلامية عموماً، وتالياً ذكر بعض دول العالم الإسلامي وأحداثها المتفرقة.
رابعاً في ذات الفصل المجال الإنساني واهتمام القصيدة العالمي، وتجاوزها لحدود القطرية والقومية والأممية من منطلق الدعوة إلى حرية الإنسان وكرامته وأمنه.

البـاب الثالث: وفيه دراسة البنية الفنية في القصيدة السياسية، في ثلاثة فصول؛ الأول لغتها الشعرية، وفيه بيان اللغة الشعرية ودورها، ومعجم القصيدة وتحليل ألفاظها وقد نُثرت في حقول مختلفة أعدت بناء على رصدٍ وإحصاءٍ لنسبة الشيوع وحاجة الاستعمال، وضرورات التعبير. كما رُصدت ظواهر معجمية في القصيدة السياسية تمثلت في توظيف النص الموروث بمصادره الثلاثة الديني والتاريخي والأدبي وتوظيف الأعلام والشخصيات التراثية بذات المصادر.

وفيه ثانياً عرض للتراكيب الشعرية في القصيدة ومنها الظواهر الأسلوبية والوسائل الإيحائية عند الشاعر بدءاً بالتكرار وانتهاء بالنداء.
وفي الفصل الثاني الصورة الشعرية، بيان أهمية الصورة الشعرية بعامة، وعرض لوسائل تشكيلها في القصيدة من تشبيه واستعارة وكناية، وثانياً تتبع أهم خصائص الصورة في القصيدة كتراسل الحواس ومزج المتناقضات واستعمال الألوان، وختم برصد عيوبٍ وقعت فيها القصيدة.
الفصل الثالث ، الموسيقى الشعرية في القصيدة،وفيه بيان أهمية الموسيقى في الشعر بعامة ، واستعراض الموسيقى الخارجية في القصيدة السياسية وإحصاء أوزانها المختلفة وأهم البحور التي استعملتها،وتتبع القافية، وقد غلبت بنمطها الموحد في حين لم تخلُ القصيدة من قافية متعددة ، وفي النوعين من القافية تم إحصاء حروفهما والوقوف عند خصائصها ودلالات استعمالها ، كما لم تُغفل عيوب القافية التي وقعت فيها القصيدة.
وثانياً الموسيقى الداخلية للقصيدة ، وعرض مصادرها المختلفة كالتصريع والتدوير والتقسيم والتدويم والتجنيس ورد العجز على الصدر لدى القصيدة والتدليل على كل ذلك بأمثلة من وحي القصيدة وبيان لإيحاءاتها وحاجة استعمالها وكشف لدلالاتها المتخلفة .

الخاتـــمة: بينت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة مع بعض التوصيات من واقع البحث وطبيعة الدراسة.

على أن البحث قد لاقى مشكلات أهمها عدم اشتمال دواوينه الشعرية المطبوعة،والموسومة بالأعمال الكاملة، على شعره كاملاً، في حين ما يزال جزء من شعره غير منشور، وهو سياسي بالدرجة الأولى سوى إشارات هنا وهناك تؤكد ولا تكاد تبين، مما ترتب على ذلك جهد مضاعف في البحث والتجميع والدراسة والتحليل، وتمكن الباحث، بعد كثير من الجهد والوقت، من جمع (٦٥) خمسة وستين بيتاً شعرياً للشاعر الزبيري، يعيد الباحث نشرها هنا للمرة الأولى لتنضم إلى تراثه الشعري، مساهمة في الجهود التي بذلت وتبذل للكشف عن أعمال الشاعر التي لم تظهر وإعادة نشرها. وتكمن المشكلة الأخرى في قلة المصادر التاريخية والسياسية اليمنية التي تناولت تلك الفترة، وضعف منهجيتها ،واتخاذها نمطية معينة تكاد تكون أشبه بالسير الذاتية، ولا تعتمد في كثير منها الرصد الواقعي والموضوعي الشامل للأحداث ومجرياتها، فضاعف ذلك من مهمة البحث عن تفسير أو بيان لكثير من الأحداث والوقائع التي ورد ذكرها في قصائد الشاعر، أو أشارت إليها، في مصادر عديدة محلية وعربية

وغيرها ، وذلك لضرورة التحليل الموضوعي لقصائد الشاعر ما أمكن، والكشف عن تناولاتها على هدىً ويقين.

ختاماً ؛ يتقدم الباحث بجزيل الشكر والامتنان لكل من أعان وأسهم في إنجاز مهمة هذا البحث .
ويأمل الباحث أن يكون قد وفق في هذا العمل ، واقترب من تحقيق أهداف الدراسة، وما سعى إليه ، وتوخاه من هذا الجهد .
فما كان من صواب فمن الله ،وما كان من خطأ فمن عندي.

والله الهادي إلى سواء السبيل.

تمهيد

عصر الشاعر

- اليمن.
- الحياة السياسية لليمن في عصر الزبيري:
  - الفترة الأولى : من الحكم الملكي ١٩١٨م إلى ثورة ١٩٤٨م.
  - الفترة الثانية : من فشل ثورة ١٩٤٨م إلى قيام ثورة ١٩٦٢م والحكم الجمهوري.

اليَمَــن:

المهد الأول للعرب، والوطن الذي نشأت وتركزت فيه حضارتهم، فأشرقت قروناً طويلة، وعاشت أجيالاً بعد أجيال.

عُرفت اليمن منذ القدم بالعربية السعيدة[١]، وقد اشتق اسمها من اليُمن ويعني البركة[٢].

تقع اليمن في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة العربية. وقبل ظهور الإسلام نشأت في اليمن عدة دول كدولة مَعين[٣]،والدولة السَّبئية[٤] وملكتها بلقيس التي حكى القرآن الكريم قصتها، والدولة الحِمْيَريَّة[٥]،وكذلك ممالك قتبان[٦]،وأوسان[٧]،وحضرموت[٨].

كما كانت اليمن نقطة الاتصال بين الشام والحبشة،والصين والهند، ومركزاً تجارياً تتحكم على الممرات المائية والبرية.

دخلت اليمن تحت راية الإسلام، وكان اليمنيون أوّل من لبى النداء، وتوافدوا إلى رسول الله ﷺ أفواجاً، ثم توالى حكم الدولة الأموية فالعباسية على اليمن ، ونشأت فيها عدة دول بأماكن مختلفة ، كالدولة اليعفرية[٩] والدولة

---

(١) "اختلف في سبب تسمية اليمن فقيل سمي بيمن بن قحطان بن الهميسع بن يمن بن ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن وقيل بيمن بن قيدار وقيل لأنه عن يمين الكعبة وقال ابن عباس تفرق الناس وهم العرب فتيامنواإلى اليمن فسميت بذلك ..ويسميها اليونان بالعربية السعيدة لكثرة خيراتها ".
ينظر: العلامة عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني: تاريخ اليمن،المسمى فُرجة الهموم والحَزن في حوادث وتاريخ اليمن . المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م ، ص٢٨١،٢٨٢.

(٢) ينظر: (ابن منظور) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب ، مادة (يمن)، مج ١٥. دار صادر، بيروت، ط ٦، ٢٠٠٤م، ص ٣٢٣.

(٣) معين مملكة قديمة نشأت في اليمن في الألفية الرابعة قبل الميلاد تقريباً،وكانت عاصمتها معين أو قرناو شرق صنعاء حالياً. كانت تعتمد على التجارة كتجارة البهارات واللبان. والحكم فيها ملكي وراثي، شملت الجزيرة وامتدت إلى الخليج الفارسي وبقيت من أثارها أطلال معابد ونقوش وكتابات.
ينظر : القاضي عبد الله بن عبد الوهاب المجاهد الشماحي : اليمن الإنسان والحضارة . وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، ٢٠٠٤م، ص ٥٠ وما بعدها .

(٤) نشأت مملكة سبأ في القرن الثامن ق.م في اليمن وعاصمتها مدينة مأرب، ورد ذكرها وملكتها بلقيس في القرآن الكريم.اشتهرت بغناها وتجارتها وتنسب إلى "سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ".
ينظر نسب سبأ في: (ابن الكلبي) أبو المنذر هشام بن محمد السائب : نسب معد واليمن الكبير،ج ١. تحقيق د.ناجي حسن، عالم الكتب، ومكتبة النهضة العربية، بيروت ، ط ١، ١٩٨٨م ، ص ١٣٢.

(٥) حِمْيَر مملكة قديمة قامت في اليمن في القرن الثاني قبل الميلاد على أنقاض الممالك القديمة مثل مملكة قتبان وسبأ و أوسان. من أشهر ملوكها سيف بن ذي يزن الذي حرر اليمن من حكم الأحباش بمساعدة الفرس . وتنسب إلى " حِمْير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ". ينظر نسب حمير في : المرجع السابق. ص ١٣٢.

(٦) دولة قتبان من ١٠٠٠ق.م إلى ٤٠٠ ق .م على الأرجح ،عاصمتها تمنع ببيحان وامتد نفوذها إلى باب المندب واندمجت في دولة سبأ في القرن الرابع قبل الميلاد .
ينظر: القاضي عبد الله الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة . مرجع سابق ، ص ٧٢،٧٣.

(٧) دولة أوسان :الأرجح أنها كانت في القرن الثامن قبل الميلاد كما يرجح أنها كانت ضمن مملكة قتبان ثم انفصلت واستقلت . ينظر: المرجع السابق. ص ٧٤.

(٨) حضرموت: دولة قديمة بشرق اليمن ١٠٢٠ ق. م ـ ٢٩٥ ق. م تمتاز باحتفاظ اسمها إلى اليوم ،كانت تستقل ثم تندمج في غيرها فاندمجت في سبأ وذي ريدان وغيرها ،عاصمتها الأولى ميفعة ثم شبوة . ينظر : المرجع السابق .ص ٧٣.

(٩) تنسب هذه الدولة إلى يعفر بن عبد الرحمن بن كريب من حمير بدأت مطلع القرن الثالث وانتهت بنهاية القرن الرابع للهجرة وتمركزت في شبام وصنعاء وشهدت مواجهات مع الدولة العباسية . ينظر : المرجع السابق . ص ١٠٦.

الزيادية [١] ،ودولة بني نجاح[٢]، والدولة الصليحية[٣]، وبني أيوب[٤]، وبني رسول[٥]،وغيرها .

دخلت اليمن في إطار الدولة العثمانية حتى إعلان المملكة المتوكلية اليمنية في الشطر الشمالي آنذاك سنة ١٩١٨م ـ امتداداً لحكم الأئمة في الدولة الزيدية [٦]ـ إلى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م فيه، كما سيطر الاستعمار البريطاني على الجنوب منذ ١٨٣٩م حتى قيام ثورة ١٤ أكتوبر١٩٦٣م فيه أيضاً، وعاد التئام شطريها[٧] بقيام الوحدة اليمنية في ٢٢ مايو ١٩٩٠م .

(١) مؤسسها محمد بن عبد الله بن زياد حين أرسله المأمون إالى اليمن فأخمد الثورات وأقام دولة شملت اليمن من سنة ٢٠٣هـ إلى ٤٠٩هـ واتخذ من زبيد عاصمة له . ينظر : المرجع السابق . ص ١٠٤.

(٢) ابتدأت دولة نجاح مولى مرجان الذي تولى الحكم بعد الحسن بن سلامة مولى بني زياد سنة ٤٠٣ هـ وانتهت ٥٥٢هـ علي يد التبع علي بن محمد الرعيني الحميري ،وكانت قد نشبت عدد من المعارك بين آل نجاح والصليحيين . ينظر : المرجع السابق . ص ١٢١.

(٣) مؤسسها علي بن محمد الصليحي استولى على الحكم سنة ٤٣٩هـ وتبعته السيدة أروى بنت أحمد وقد تمكن الصليحيون من السيطرة على اليمن حتى أطراف الحجاز ودام ملكهم أكثر من نصف قرن ولهم مآثر عديدة في جبلة .
ينظر :عبد الله أحمد الثور : لمحات من التاريخ والأدب اليمني قديماً وحديثاً . دار الهنا للطباعة ، صنعاء ، ط ٣، ١٩٨٣م ، ص ١٦.

(٤) ظهرت الدولة الأيوبية سنة ٥٦٩هـ إذ بعث صلاح الدين الأيوبي أخاه توران شاه إلى اليمن فقضى على الصليحيين وبني زريع وحكموا اليمن حتى عام ٦٢٦ هـ . ينظر : المرجع السابق . ص ١٨.

(٥) أسسها نور الدين بن عمرو بن رسول حين أعلن نفسه سلطانا على البلاد فخضعت له مناطق عديدة واستمر حكمه ومن بعده زهاء ٢٣٢ عاماً . ينظر: المرجع السابق. ص ١٩.

(٦) تنسب الزيدية إلى الإمام زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ،وبدأت الدولة الزيدية بالظهور حين قدم الهادي يحيى بن الحسين إلى اليمن في شهر صفر (٢٨٤هـ/٨٩٧ م) ودعا في (صعدة) لنفسه بالإمامة ، وظل يعمل على بناء الدولة ككيان منفصل عن الدولة العباسية ،حيث اختار أئمة المذهب الزيدي اليمن لدولتهم التي استمرت لأكثر من ألف عام. ويعتبر الكثير من العلماء المذهب الزيدي من أكثر المذاهب قرباً من أهل السنة.
للمزيد في ذلك ينظر : محمد بن محمد يحيى زبارة : تاريخ الأئمة الزيدية في اليمن حتى العصر الحديث . مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت ، ص ٥.
و د. حسن خضيري أحمد : قيام الدولة الزيدية في اليمن (٨٩٣- ٩١١م) . مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١، ١٩٩٦م ، ص٥٣ وما بعدها .

(٧) "اكتمل التوسع الإنجليزي في اليمن الجنوبي الذي ابتدأ عام ١٨٣٩م باحتلال مدينة عدن بتكوين محمية عدن في أوائل القرن العشرين. وفي ٩ مارس ١٩١٤م تم التوقيع على اتفاقية تخطيط الحدود بين الممتلكات البريطانية والتركية في اليمن ، وكانت تركيا قد احتلت اليمن الشمالي عام ١٨٧٢م وهكذا قسمت اليمن بصورة اصطناعية إلى قسمين الشمال والجنوب ".
ينظر: مجموعة من المؤلفين السوفيت: تاريخ اليمن المعاصر (١٩١٧ـ ١٩٨٢م). ترجمة محمد علي البحر، ومراجعة د. محمد أحمد علي ، مكتبة مدبولي ،القاهرة، د.ت ، د.ط ، ص٦١.

الحياة السياسية لليمن :

يمكن تقسيم الحياة السياسية لليمن في العصر الذي عاشه الشاعر الزبيري من بداية حياته حتى الوفاة إلى فترتين :

الفترة الأولى:
من الحكم الملكي ١٩١٨م إلى ثورة ١٩٤٨م

كان الإمام يحيى حميد الدين[١](ت ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م)، قد دعا إلى نفسه بالإمامة عقب وفاة والده الإمام المنصور، في (قَفْلَة عِذَر)[٢] يوم الجمعة (٢٠ ربيع الأول ١٣٢٢هـ/ يونيو ١٩٠٤م) وكان حينها في السادسة والثلاثين من عمره.

ومن ثم " واصل الإمام يحيى قيادة الثورة ضد الأتراك[٣]، وشدد الضربات والحصار على حاميات المدن الشمالية التي سقطت في يد قواته ،

---

(١) هو الإمام يحيى بن الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين، ولد بالحيمة في ١٥ربيع الأول (١٢٨٦هـ/ يوليو ١٨٦٩م) ودرس علوم الدين على يد كثير من العلماء في صنعاء وشهارة وغيرها وأتقن كثير من العلوم ، كما اشتغل بالتدريس والإفادة . أعلن عن دعوته عقب وفاة والده وتمت مبايعته إماماً. حارب الأتراك حتى تم له الأمر، حكم اليمن استمراراً لحكم الدولة الزيدية التي تأسست سنة(٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، حتى تم اغتياله في (٧ربيع الآخر١٣٦٧هـ/ ١٧ فبراير١٩٤٨م) من قبل ثورة الدستور، وقد كان عالماً وشاعراً ومن جيّد شعره قصيدته التي يرد بها على القاضي زيد بن علي الديلمي، ومطلعها:

عـــــــودا لمـــــــا عودتنـــــــا	يـــــا أيهـــــا الظبـــــي الأغـــــن
أرضـــــــعتنا الوصـــــــل المشـــــــو	ب بكـــــــل أفـــــــراح ومـــــــن
تـــــــا الله لا ننســـــــى لمـــــــا	ك وإن سُـــــــقَينا كـــــــلَّ دن
كـــــــلا ولا نهـــــــوى ســـــــوا	ك وإن تـــــــأنى واطمـــــــأن

للمزيد ينظر : العلامة القاضي عبد الكريم بن أحمد مطهر : سيرة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين المسماة كتيبة الحكمة من سيرة إمام الأمة ، ج١. تحقيق د. محمد عيسى صالحية، دار البشير،عمان ،الأردن، ط١، ١٩٩٨م، ص ١٢ وما بعدها.
وينظر:إسماعيل بن علي الأكوع: هِجَرُ العلم ومعاقله في اليمن،ج٣. دار الفكر المعاصر،بيروت، و دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٩٥م، ص١٦٩٦ وما بعدها.

(٢) القَفْلة: منطقة شمال العاصمة صنعاء وهي الآن إحدى مديريات محافظة عمران التي تبعد عن صنعاء ٥٠ كم تقريباً.

(٣) كانت الدولة العثمانية قد دخلت اليمن لأول مرة سنة (٩٤٥هـ/١٥٣٨م) بحملة عسكرية، ونزلت في مدينة عدن جنوب اليمن، ثم دخلت الحملة صنعاء شمال اليمن سنة (٩٥٤هـ/ ١٥٤٧م) واستمرت حتى جلاء العثمانيين عام(١٠٤٥ هـ/ ١٦٣٥ م) إثر مقاومة عنيفة . ثم جاءت حملة ثانية سنة (١٢٦٥هـ/ ١٨٤٩م) لكنها فشلت في السيطرة على صنعاء وتراجعوا عنها. ثم عاد العثمانيون مرة أخرى ودخل الوالي أحمد مختار باشا صنعاء في (١٧ صفر ١٢٨٩هـ/ ٢٥ إبريل ١٨٧٢م) واستمروا في اليمن حتى سنة (١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م) وخرجوا منها بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى لينتهي بذلك الحكم العثماني في اليمن.
ينظر في ذلك : د.فاروق عثمان أباضة : الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢ ـ ١٩١٨ م) . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م ، ص ٢٤ وما بعدها .
و : د. حسين العمري : تاريخ اليمن الحديث والمعاصر(١٥١٦م ـ ١٩١٨م) من المتوكل إسماعيل إلى المتوكل يحيى حميد الدين . دار الفكر، دمشق، ودار الفكر المعاصر، بيروت ، ط ٢، ٢٠٠١م، ص١٩١ وما بعدها.

وفي [١٦ صفر] ١٣٢٢هـ / ٢١أبريل ١٩٠٥م تمكن بعد حصار عاصمة الولاية صنعاء من دخولها بسلام"[١].

لكن ما فتئ العثمانيون يدعمون وجودهم حتى استردوا صنعاء، ودخلتها قواتهم في (رجب١٣٢٣هـ/ أوائل سبتمبر ١٩٠٥م)، وكان الإمام يحيى قد انسحب من صنعاء إلى بلاد حاشد [٢]، قبل وصول القوات إليه.

إلا أنه ظل " في صراع مرير مع الحكومة العثمانية، في حروب متقطعة هنا وهناك، حتى تم توقيع اتفاقية دَعَّان [٣] يوم السبت (٢٨ شوال سنة ١٣٢٩هـ/ ٨ أكتوبر ١٩١١م) بين الإمام يحيى وبين المشير أحمد عزت باشا[٤]". متزامناً مع قيام الحرب التركية الإيطالية، بسبب احتلال الأخيرة لطرابلس (ليبيا).

وفي شهر (صفر١٣٣٧هـ/ نوفمبر ١٩١٨م) دخل الإمام يحيى صنعاء، واستقر بها، وتسلم ما تبقى من ممتلكات العثمانيين، ومناطق النفوذ التي كانت تحت أيديهم، بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى،وبذلك كانت اليمن أول دولة عربية تنال استقلالها،وانتهى الحكم العثماني فيها، ودخلت البلاد حقبة جديدة في ظل حكم الإمام يحيى حميد الدين .

وما إن مرت فترةٌ وجيزةٌ، حتى كان الإمام يحيى قد سيطر على أغلب المناطق الشمالية والغربية، وأمَّا جنوب اليمن فقد بقي على حاله تحت سيطرة القوات البريطانية [٥].

"انتهج الإمام يحيى سياسة العزلة التامة، وأغلق على نفسه وعلى اليمن مسالك الاتصال بالعالم الخارجي، ولم يأخذ بأسباب المدنية الحديثة"[٦].

وإلى جانب ذلك جمع الإمام كل السلطات في يديه واعتمد نظام الرهائن[٧]، وموروست سياسة تجهيل واسعة في صفوف الناس، وكانت الضرائب أنواعاً متعددة، إلى جانب الزكاة، والمواطن ملزم بدفعها مهما كانت قدرته. وقد عبر

(١) د.حسين عبد الله العمري: تاريخ اليمن الحديث والمعاصر. المرجع السابق، ص١٩٨.
(٢) حاشد: إحدى بطون (همدان) الرئيسة، وإحدى القبائل المهمة في اليمن، تمتد بلاد حاشد من (سنحان) جنوب العاصمة صنعاء حتى جنوب (صعدة) بنحو٢٤٢ كم شمال العاصمة صنعاء، ومن الشرق يحدها بلاد القبائل المجاورة لها من (بكيل) حتى (تهامة) غرباً. وأهم مدنها : عمران وخَمِر وخارف.
(٣) دَعَّان: قرية من منطقة جبل (عيال يزيد) في الشمال الغربي من صنعاء على مسافة ٩٠ كم تقريباً.
ينظر نص الاتفاق في : تاريخ اليمن المسمى فُرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن . مرجع سابق، ص٣٦٥ وما بعدها.
(٤) القاضي إسماعيل بن علي الأكوع : المدارس الإسلامية في اليمن. مؤسسة الرسالة، بيروت، ومكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط٢، ١٩٨٦م، ص٤٠٩-٤١٠.
(٥) دخل الجنود البريطانيون عدن سنة (١٢٥٥هـ - ١/١٩ / ١٨٣٩م) بعد معركة غير متكافئة بين قوات الإمبراطورية البريطانية وجنود سلطنة العبدلي (سلطان لحج).
ينظر: علي الصرّاف: اليمن الجنوبي والحياة السياسية من الاستعمار إلى الوحدة. رياض الرّيس للكتب والنشر، لندن، ط١، ١٩٩٢، ص٢٧.
(٦) القاضي إسماعيل علي الأكوع: المدارس الإسلامية في اليمن. مرجع سابق، ص٤١٢.
(٧) أي أن يسلم كل شيخ قبيلة وصاحب مركز أحد أولاده رهينة لدى الإمام يحتفظ به (شبه سجين) حتى يضمن ولاء المشائخ والأعيان لحكمه، والخروج عن ذلك يعني هلاك الرهينة.

أبناء اليمن عن سخطهم على الوضع بطريقتين: الهجرة، والانتفاضات المتكررة، في مناطق عديدة من اليمن، تمكن الإمام من القضاء عليها بواسطة الجيش[١].

وعصف الثالوث البغيض (الجهل، والفقر، والمرض) بالإنسان اليمني، فعاش خارج دائرة الزمن، وحركة التاريخ.

وفي سنة (١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م) قاد ضعف المملكة المتوكلية الإمام يحيى لتوقيع معاهدة صنعاء مع الاستعمار البريطاني، ومعاهدة الطائف مع المملكة العربية السعودية[٢].

وقد أيقظت أحداث هذا العام الحس الوطني، فبدأت ملامح معارضة النظام بالظهور،وإزاء ذلك النهج للإمام وما أدى إليه من تخلف وتأخر؛ فإن المستنيرين من أبناء اليمن أخذوا يفكرون في الخروج باليمن من ذلك الوضع[٣].

وبدأت مراحل المعارضة والنضال؛ فظهرت التجمعات المختلفة من المثقفين في (صنعاء وتعز)[٤]، ونشأت عدة جمعيات وهيئات، كهيئة النضال[٥]، وجمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٦]، وصدرت مجلة الحكمة اليمانية[٧]، وأُسس حزب الأحرار في (عدن)[٨]، وجمعية الإصلاح في

(١) ينظر: د.عبد الله أحمد يحيى الذيفاني: الاتجاه القومي في حركة الأحرار اليمنية ١٩١٨- ١٩٤٨م. مركز الدراسات والبحوث اليمني،والمركز الفرنسي للدراسات اليمنية، صنعاء، ط١، ١٩٩٩م، ص٣٦ وما بعدها.

(٢) تضمنت الاتفاقية الأولى مع الاستعمار البريطاني: التسليم بوجوده في عدن، والمحميات، والتخلي عن المطالبة بالتحرير، وكانت مدة الاتفاقية ٤٠ عاماً وتضمنت الثانية مع المملكة العربية السعودية : تخلي نظام الإمام عن مناطق شمالية معينة، وكانت مدة الاتفاقية ٢٠ عاماً.
ينظر: المرجع السابق، ص٤٧ وما بعدها.
نص الإتفاقية ينظر في : د. عدنان ترسيسي: بلاد سبأ حضارات العرب الأولى، اليمن (العربية السعيدة). دار الفكر المعاصر، بيروت، و دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٩٠م، ص٦٦٤ وما بعدها.

(٣) محمد يحيى الحداد: التاريخ العام لليمن،(اليمن المعاصر)، ج ٥ . منشورات المدينة، دار التنوير للنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٦م، ص١١٠.

(٤) يعتبر هذا التجمع من أسبق التجمعات ظهوراً، وكان له تواجد في أكثر من مدينة في اليمن، وكان على رأس تجمع صنعاء الحاج محمد المحلوي وتحدد بدايته في سنة (١٣٥٠هـ/ ١٩٣١م) وظل نشاط هذا التجمع – إلى جانب المناقشات الثقافية والسياسية – مقتصراً على بعض المنشورات والكتابة في بعض الصحف. وأما تجمع تعز فأسس في سنة(١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م).

(٥) يشير عدد من الباحثين إلى أن هيئة النضال ما هي إلا امتداد وتطور لتجمع المحلوي في صنعاء، وقد أسهم في تكوينها أحمد المطاع سنة (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م) وأنشئت لها فروع في عدد من المدن ونجحت في إثارة بعض الصحف الخارجية لنقد الإمام وسياسته.

(٦) تأسست في القاهرة،وهي امتداد لكتيبة الشباب التي سبق تأسيسها في القاهرة أيضاً، وكان الزبيري أحد المؤسسين ومعه محمد صالح المسمري، وعلي ناصر العنسي، وأحمد نعمان، وأحمد الحورش وغيرهم .

(٧) كانت مجلة الحكمة أولى المجلات الصادرة في المملكة المتوكلية اليمنية سنة (١٣٥٧هـ/ ١٩٣٩) أسسها أحمد الوريث، وأصبحت منبراً تعبر عن الاتجاه المعارض للإمام وسياسته، ووسيلة مهمة في الدعوة إلى الإصلاح، فكتب فيها الكثير من المناضلين كالزبيري والنعمان والمطاع، وغيرهم.

(٨) أسسه الأحرار الذين فروا إلى عدن من بطش حكم الإمامة ،برئاسة الزبيري والنعمان سنة (١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م) بمساعدات مالية من بعض التجار من الشمال وبتعاون بعض المثقفين من الجنوب، وأعلن الحزب عن برنامجه ومارس نشاطه، واستعان بصحيفة الأحرار (فتاة الجزيرة)، للتعريف بقضيتهم، إلا أن حزبهم تعرض لمضايقات عديدة.

(إب)[1]، وجمعية الشباب اليمني في (القاهرة)[2]، والجمعية اليمانية الكبرى في (عدن)[3].

وبعد أن يئست هذه القوى من إقناع الإمام بإصلاح الأوضاع، ورفع الظلم، رأى الأحرار ضرورة التغيير. وبما أن الإمام قد تقدم به العمر، ويعاني من الأمراض؛ فقد وضع الأحرار الترتيبات النظرية للمرحلة القادمة التي يتطلعون إليها، والحؤول دون استمرار السلطة في يد أبنائه من بعده، فجسدوا ذلك الطموح في (الميثاق الوطني المقدس).

وتسارعت الأحداث بتغيراتها، مما دفع باتجاه تخلص الأحرار من الإمام، والبدء بتحقيق ما أرادوه[4].

ففي يوم الثلاثاء (٧ ربيع الآخر ١٣٦٧هـ/ ١٧ فبراير ١٩٤٨م) اغتيل الإمام يحيى، ومعه رئيس وزرائه (عبد الله العمري)، في كمين نصب أثناء زيارة له في منطقة (حِزْيز)[5]. وتم إعلان (عبد الله الوزير) إماماً دستورياً على اليمن، وشكّل الأحرار حكومةً ومجلس شورى، لكن سرعان ما أُجهضت هذه الثورة في مهدها، واستطاعت القبائل الموالية لابن الإمام يحيى وولي عهده (أحمد)[6] محاصرة صنعاء، حتى سقطت بأيديهم وتعرضت للنهب في (٢ جمادى الأولى

---

(1) تأسست هذه الجمعية بمدينة إب (١٩٣كم جنوب العاصمة صنعاء)، خلال فترة تأسيس حزب الأحرار في عدن (١٣٦٧هـ/ ١٩٤٤م) وترأسها القاضي محمد بن علي الأكوع، وأشرف عليها عبد الرحمن الإرياني، وقد عملت هذه الجمعية بالتواصل مع حزب الأحرار والتنسيق معه، وتم اعتقال أعضائها بعد اكتشاف أمرهم من قبل أعوان الإمام.

(2) أسست في القاهرة في ٢٨ نوفمبر ١٩٤٤ استمراراً لنشاط الأحرار،وتميز نشاطها الإعلامي بالتعريف باليمن وقضيته.

(3) تعتبر امتداداً لحزب الأحرار حيث توقف عن ممارسة نشاطه العلني، وجاء تأسيسها في يوم الجمعة غرة صفر (١٣٦٥م/ ٤ يناير ١٩٤٦م) بعدن، وصدرت صحيفة (صوت اليمن) لسان حال الجمعية ورأس تحريرها الزبيري، وشملت أنشطة الجمعية محاولة التأثير على الإمام لتحقيق مطالب الأحرار، وطلب العون من الأشقاء العرب والتواصل معهم لغرض إجراء إصلاحات في البلاد.

(4) جاء الميثاق الوطني المقدس مجسداً لطموح وتطلعات الأحرار، في إطار الجمعية اليمانية الكبرى، وتضمن الإطار النظري للمرحلة القادمة،وصيغة الحكم فيها، وتشكيلاته الوزارية والإدارية، بحيث يكون شورياً دستورياً لا يخالف الشرع، واشترك في وضعه الفضيل الورتلاني موفد حسن البنا مرشد الإخوان المسلمين في مصر، وتم الاتفاق على نشره إثر وفاة الإمام يحيى، إلا أن السر كُشف لولي العهد أحمد فأشاع موت أبيه لغرض كشف المؤامرة ورجالها ،فسارع الأحرار بنشرالميثاق والأسماء في عدن والقاهرة في حين أن الإمام كان لا يزال حياً،ووصلت برقيات التهنئة من الخارج لعبد الله الوزير الذي اختير إماماً دستورياً لكن الإمام يحيى هو الذي تسلمها. فشعر الأحرار بتغير الموقف والمواجهة مع الإمام وولي عهده، مما عجل بسرعة عملية اغتيال الإمام يحيى .
لمطالعة نص الميثاق الوطني المقدس وملحقاته ، ينظر : المشير عبد الله السلال وآخرون (مجموعة من ضباط القيادة العسكرية لثورة١٩٤٨م) : ثورة اليمن الدستورية . مركز الدراسات والبحوث اليمنية ، صنعاء ،ودار الآداب ،بيروت ،ط ١، ١٩٨٥م ، ص ١٠٠ وما بعدها . وكذلك : القاضي عبد الله بن عبد الوهاب الشماحي: اليمن الإنسان والحضارة، مرجع سابق. ص٢٢٨ وما بعدها.

(5) انتدب لمباشرة عملية اغتيال الإمام: الشيخ علي ناصر القردعي وآخرين معه في منطقة حِزْيَزْ وهي إحدى ضواحي العاصمة صنعاء على مسافة ١٥كم جنوباً من وسط العاصمة تقريباً.

(6) هوالإمام الناصر أحمد بن يحيى بن حميد الدين، ولد سنة (١٣١٢هـ/ ١٨٩٥م) كان جريئاً حاد المزاج، أسند إليه أبوه الحكم في لواء تعز عام ١٩٣٨م. وكان كثير التوعد بالأحرارللنيل منهم، حتى تم له ذلك بعد فشل ثورة ١٩٤٨م، فأعدم العشرات منهم دون محاكمة، أباح مدينة صنعاء للقبائل حين استعان بهم على دخولها عند ثورة ١٩٤٨، تخلص في حياته من ثلاثة إخوته: إبراهيم، وعبد الله، والعباس.
أطلق عليه ثلاثة من الأحرار الرصاص في مستشفى الحديدة سنة ١٩٦١م فأصيب ولم يمت، لكنه مكث يعاني من آثارها حتى توفي سنة ١٩٦٢م.